هذه الاشياء في البيت . لماذا لم نرسل من يستطلع الطريق قبل التحرك » . والف لماذا تمزق خلايا مخه . كل خطأ ارتكبه يصبح سوطا داخليا يعذبه على ايقاع السياط واللكمات التي تنزل على جسده .

السجين لا يشترط توفر الروح الرياضية لدى عدوه . انه يعرف طبيعة هذا الصراع . اما أن يسحق عدوه سحقا كاملا ومطلقا أو يسحقه عدوه سحقا كاملا ومطلقا . ان العداء في المعتقل يظهر عاريا بشعا بدون طلاء وبدون أقنعة . العدو يريد ان يسحق فينا كل ما هو انساني . أما نحن فيتوجب علينا الدفاع عن انسانيتنا وعن كبريائنا . هذا ليس صراعا على الاجور أو تحديد ساعات العمل أو الحقوق الديموقراطية . هذا صراع البقاء والفناء . أن نكون أو لا نكون . في عهد الانتداب كان يقال « مشكلة فلسطين » والآن صار يقال « مشكلة الشرق الاوسط » . حقا عندنا مشكلة ولكنها ليست مشكلة فلسطين . بالنسبة للآخرين قد تكون فلسطين مشكلة ولكن بالنسبة لنا فلسطين وطن . فلسطين مدن وقرى وبيوت وكروم وشوارع وحجار . وعندما لا تعود فلسطين هي البيوت والاشجار لا تعود مشكلة . تصبح صفحة في كتاب تاريخ .

* * *

[٥]

عندما يقف الفلسطيني في محكمة اسرائيلية عسكرية ، لا يكون هم القاضي او المدعي العسكري هو اثبات التهمة . فكلمة فلسطيني في حد ذاتها تهمة . قل أي شيء : قل انك « تسكن » غزة أو رفح أو نابلس . قل انك من « سكان » اللد سابقا وحاليا « أسكن » رام الله او القدس أو الخليل . قد يكون قد وجد في التاريخ شيء اسمه فلسطين نسبة الى قبيلة يونانية جاءت من كريت ، ولكن فلسطين هذه لا يجوز ، من ناحية لغوية ، أن تضيف ياء النسبة اليها فتقول هذا فلسطيني أو أنا فلسطيني. بالنسبة للقاضي العسكري انت متسلل مخرب مجرم قاتل للاطفال والنساء والشيوخ . أتيت من اللامكان وتعود الى اللامكان . لماذا اذن يضيعون وقتهم وجهدهم في تشكيل وعقد محاكم عسكرية . ان واجب القاضي ان ينتزع منك اقرارا بالذنب وتعبيرا عن الندم ، لتكتب الجريدة في اليوم التالي « أن القاضي أخذ بعين الاعتبار ظروف المتهم الخاصة وندمه على فعلته وحكم عليه بالسجن ... » .

قبل المحكمة يعرضون عليك تعيين محام على نفقة المحكمة . ومهمة المحامي أن يقنعك بالقول أمام المحكمة أنك « مذنب » وأن تترك الباقي عليه .

في محاكمة مريم الشخشير في ١٩٦٩/٦/٢٢ قالت الصحف الاسرائيلية « وقالت المحكمة أن مقصف الجامعة كان مكتظا بالناس عند انفجار القنبلة ولم تبد المتهمة أية ندامة على فعلتها » . وفي محاكمة عبدالقادر ابو الفحم في ١٩٦٩/١/١٦ قال عبد القادر « لست آسفا على ما فعلت ، واذا ما خرجت من السجن فسأواصل القتال والنضال ضد العدو حتى تتحرر فلسطين أو أسقط شهيدا فداء لها » .

ان مقياس كسب القضية أو خسارتها في المحكمة ، من وجهة النظر الصهيونية ، هو ان يبدي « المتهم » أسفه . ولكن لماذا هذا الاصرار من جانب القضاة على انتزاع عبارة ندم من الضحية الواقف أمامه ؟ أن الصهيونية حريصة ، سواء على نطاق الداخل أم الخارج ان تظهر كحركة تقدمية أحدثت ثورة حقيقية في حياة اليهود . ولهذا حرصوا دائما على تسمية حرب ١٩٤٨ بحرب التحرير وهم يسمون ضم القدس في سنة ١٩٦٧ « تحرير القدس » . وتصر كثير من الصحف حتى هذا اليوم على تسمية احتلال الضفة الغربية وغزة بعملية « تحرير » لهذه المناطق . وبالتالي فان كل من يقف ضد عمليات « التحرير » هذه لا يمكن أن يكون مناضلا حقيقيا . فالمناضل الحقيقي هو الذي يتمسك